

كلية: الآداب

القسم او الفرع: قسم علم الاجتماع

المرحلة: الاولى

أستاذ المادة: م. عمر جاسم محد

اسم المادة باللغة العربية: اسس علم الانسان

اسم المادة باللغة الإنكليزية: Foundations of Anthropology

اسم المحاضرة الثامنة باللغة العربية: الأنثروبولوجية الثقافية

اسم المحاضرة الثامنة باللغة الإنكليزية: Cultural Anthropology

### الأنثروبولوجية الثقافية

### **Cultural Anthropology**

أولاً ـ مفهوم الأنثروبولوجيا الثقافية ثانياً نشأة الأنثرويولوجيا الثقافية ومراحل تطوّر إها ثالثا اقسام الأنثروبولوجيا الثقافية

١- علم اللغويات

٢- علم الاثار

٣- علم الثقافات المقارن

# أولا-تعريف الأنثروبولوحيا الثقافية

تعرّف الأنثروبولوجيا الثقافية بوجه عام - بأنّها العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع ليه ثقافة معيّنة. و على هذا الإنسان أن يمارس سلوكاً يتوافق مع سلوك الأفراد في المجتمع (الجماعة) المحيط به، يتحلى بقيمه وعاداته ويدين بنظامه ويتحدّث بلغة قوّمه

ولذلك، فإنَّ الأنثروبولوجيا الثقافية : هي ذلك العلم الذي يهتمُّ بدر اسة الثقافة الإنسانية، ويعنى بدر اسة أساليب حياة الإنسان وسلوكاته النابعة من ثقافته. وهي تدرس الشعوب القديمة، كما تدرس الشعوب المعاصرة. (بيلز وهويجر، ١٩٧٦، ص ٢١)

فالأنثر وبولوجيا الثقافية إذن، تهدف إلى فهم الظاهرة الثقافية وتحديد عناصرها. كما تهدف إلى دراسة عمليات التغيير الثقافي والتمازج الثقافي، وتحديد الخصائص المتشابهة بين الثقافات، وتفسر بالتالى المراحل التطوّرية لثقافة معيّنة في مجتمع معيّن

ولهذا استطاع علماء الأنثروبولوجيا الثقافية أن ينجموا في دراساتهم التي أجروها على حياة الإنسان، سواء ما اعتمد منها على التراث المكتوب للإنسان القديم وتحليل آثارها، أو ما كان منها يتعلق بالإنسان المعاصر ضمن إطاره الاجتماعي المعاش.

وهذا يدخل – إلى حدّ بعيد- فيما يسمّى (علم اجتماع الثقافة) والذي يعني تحليل طبيعة العلاقة بين الموجود من أنماط الإنتاج الفكري، ومعطيات البنية الاجتماعية، وتحديد وطائف هذا الإنتاج في المجتمعات ذاتُ التركيب التنضيدي أو الطبقي. ويتضمن هذا التعريف الاعتبارات التالية: (لبيب، ١٩٨٧، ص١٤-٢٦)

ا- أنّ الحديث عن أنماط الإنتاج الفكري، يعني أنّ التجانس الثقافي بالمعنيين: الفلسفي والأنثر وبولوجي، هو غير عمليات علم الاجتماع. لأنّ هذا التجانس يغطي وجوداً حقيقياً لأنماط مختلفة من الثقافة، قد تتناقض مضموناً ووظيفة في المجتمع وجوداً حقيقياً لأنماط مختلفة من الثقافة، المنافذة المن الواحد. فعلى الرغم من وجود بعض العوامل (الأنثروبولوجية) المشتركة، فلا توجد موضوعياً في المجتمعات ذات التركيب الطبقي "" ثقافة للجميع "، حتى وإن ادّعت أو أرادت هذه الثقافة لنفسها، أن تكون كذلك. فهناك من وجهة نظر اَجْتَماعِية نِمِطْية تَقافية (ربّما في ذلك أنماط الثقافة الجماهيرية) يفضي تصنيفها وتحليلها، إلى إبراز التمايز إلاجتماعي الذي تعبّر عنه بالضرورة. وهذا يعني أن إِجتماعِيةِ الْثِقَّافَةُ في نهايةُ الأمر، هي أجتماعية النباين في الثقَّافَةُ وعدم مساواةً في ا المجال الثقافي .

٢- إنّ الحديث عن المجتمعات المنضدة (الطبقية) ليس حصراً بقدر ما هو تأكيد على أنَّ الإِنتَاجِ الفَكِري هيو تعِيير عن ُمرحَلَـةُ مَعَيّنـة من الْتَمَايز بـينَ الأَصـنَافَ الاجتماعية الاقتصادية. وأن استعمال مفهوم التركيب التنضيدي Stratification الاجتماعية الاقتصادية. وأن استعمال مفهوم التركيب التنضيدي Stratification على الرغم من غموضه، يقحم في حقل التحليل الاجتماعي مجتمعات تاريخية قبل رأسمالية، قد يكون مضمونها الطبقي محل نقاش. وعلى هذا الأساس، تكون المجتمعات الوحيدة التي تخرج من الحقل الاجتماعي، هي تلك التي تسمّي عادة المجتمعات الوحيدة التي تسمّي عادة والمحتمعات الوحيدة التي تسمّي عادة والمحتمعات الوحيدة التي تسمّي عادة على المحتمعات الوحيدة التي تسمّي عادة المحتمعات الوحيدة التي تسمّي عادة والمحتمعات المحتمعات المحتمعات المحتمعات الوحيدة التي تسمّي عادة والمحتمعات الوحيدة التي تسمّي عادة والمحتمعات المحتمعات المحتمعات المحتمعات المحتمعات المحتمدات المحتمدات المحتمدات المحتمدة التي تسمّي عادة المحتمدات ا بالمجتمعات (البدائية)، والتي لم تصل فيها أنماط الإنتاج الفكري إلى درجةً كافية من التمايز تسمح لها بتصنيف معيّن .

٣- ليس المهمّ من وجهة النظر التحليلية إثبات العلاقة بين الإنتاج الفكري والواقع اللجتماعي، بقدر ما هو تحليل أشكال هذه العلاقة في مرحلة معينة لمجتمع معين. ويعد هذا التحليل مصدراً أساسياً في المناقشات المتعلقة بالروابط الموجودة بين البنية التحتية والبنية الفُوقية، والتيَّ أفضت إلى تأكيد فكرة التبادل الدياليكتيكي

القائم بينهما. وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّ اجتماعية الأدب والفن، ساهمت مساهمة متطوّرة في تحليل أشكال العلاقة بين الإنتاج الفكري، ومعطيات البنية الاجتماعية

٤- أن تحديد الكيفية التي يحوّل بها إنتاج فكري، كالقص أو المسرح مثلاً، معطيات الواقع، لا يكفي، بل لا بد من إبراز الوظيفة الإجتماعية / السياسية لهذا الإنتاج، ولا سيّما أنّ المنتجين ينتمون إلى فئات من المثقّفين يؤدون أدواراً قد يعونها أو لا يعونها أو المسالح أصناف أو طبقات اجتماعية معيّنة. وهذه الوظيفة ليست مظهراً ثانوياً أو تكميلياً، بل هي بعد من أبعاد العلاقة بين الثقافة والمجتمع، ولا يمكن تفسير أي حدث فكري من دونها. وهي في الوقت ذاته، توجد حلاً لما يسمّى "استقلالية" القيم الفكرية والجمالية، وذلك من خلال اكتشاف وظيفة استمرارية هذه القيم، أو بعثها في ظروف تاريخية محدّدة.

إنّ دراسة الوسط الثقافي، تكشف عن الآلية السيكولوجية التي توجّه سلوك الفرد، وتصرف النزعة العدوانية في مجالات تنفيس مهذّب. والمثال على ذلك في بعض النظم الاجتماعية، كما في طقوس (الآبو Apo) التي تمارسها قبائل الآشانتي Ashanti في ساحل الذهب في أفريقيا الغربية.

فقي احتفالات الآبو، لا يسمح فقط، بل يجب، أن يسمع أصحاب السلطة، السخرية واللوم واللعنات من رعاياهم بسبب المظالم التي ارتكبوها. ويعتقد رجال الأشانتي أنّ في هذا ضمانة لكي لا تتعذّب أرواح الحكام بسبب كبت استياء الغاضبين ولولا ذلك، لأفضى تراكم الاستياء وتعاظم قوّته، إلى اضعاف سلطة الحكام، بل وإلى قتلهم. ولا تتطلّب فعالية هذه الآلية (الفرويدية الجوهر) في التنفيس عن الكبت أي إيضاح. فهي تلقي ضوءاً أكبر على ما تقوم به من أشكال السلوك المنظمة في نظم اجتماعية، من تصحيح لاختلال التوازن في نمو شخصيات الأفراد الذين تشملهم. (هرسكوفيتز، ١٩٧٤، ص ٥٥)

ومن هذا المنطلق تهتم الأنثروبولوجيا الثقافية بالتراث والحياة داخل نطاق المجتمع، ويمكن بوساطتها الخوض في جوهر الثقافات المختلفة، ومعرفة كيف تحيا الأمم، من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

ما هي سبل العيش المتبع لديهم؟ ما هي الطرائق التي يتبعونها في تربية أبنائهم؟ كيف يعبّرون عن أنفسهم؟ ما هي طريقتهم في أداء عباداتهم؟ ما هي العلوم والأداب والفنون السائدة عندهم؟ وكيف ينقلون تراثهم إلى أجيالهم الجديدة من بعدهم؟ وغير ذلك من العادات والقيم وأساليب التعامل فيما بينهم.

### ثانياً - نشأة الأنثروبولوجيا الثقافية ومراحل تطوّرها:

لم تظهر الأنثروبولوجيا الثقافية كفرع مستقلّ عن الأنثروبولوجيا العامة، إلاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وربّماً يعود الفضل في ذلك إلى العالم الإنكليزي / إدوارد تايلور / الذي يعد من روّاد الأنثروبولوجيا، والذي قدّم أول تعريف شامل للثقافة عام ١٨٧١ في كتابه " الثقافة البدائية " .وقد مرّت الأنثروبولوجيا الثقافية بمراحل متعدّدة، منذ ذلك الحين حتى وصلت إلى ما هي عليه في العصر الدائية الدائية الماض

(Barnouw, 1972, p.7)

مرحلة البدية: وتمتد من ظهور هذه الأنثروبولوجيا وحتى نهاية القرن التاسع عشر. وكانت عبارة عن محاولات لرسم صورة عامة لتطوّر الثقافة منذ القدم، والبحث أيضاً عن نشأة المجتمع الإنساني.

وظهر في هذه الفترة إلى جانب العالم الإنكليزي / تايلور /، العالم الأمريكي / بواز / الذي أخذ بالاتجاه التاريخي في دراسة الثقافات الإنسانية، وذلك من جانبين ؛ أولهما: إجراء دراسات تفصيلية لثقافات مجموعات صغيرة، كالقبائل والعشائر، ومراحل تطوّرها.

وثاتيهما: أجراء مقارنة بين تاريخ التطوّر الثقافي، عند مجموعة من القبائل، بغية الوصول إلى قوانين عامة أو مبادىء، تحكم نمو الثقافات الإنسانية وتطوّرها. وهذا ما يعطي أهميّة للأنثر وبولوجيا باعتبارها علماً له منهجيّته الخاصّة .

المرحلة الثانية: وتقع ما بين (١٩٠٠- ١٩١٥ م)، وتعدّ المرحلة التكوينية، حيث تركّزت الجهود في الأبحاث والدراسات، على مجتمعات صغيرة محدّدة لمعرفة تاريخ ثقافتها ومراحل تطوّرها، وبالتالي تحديد عناصر هذه الثقافة قبل أن تنقرض.

و استناداً إلى ذلك، جرت دراسات عديدة على ثقافة الهنود الحمر في أمريكا، وتوصل الباحث الأمريكي / وسلر / إلى أسلوب يمكن بوساطته من دراسة أي إقليم أو منطقة في العالم تعيش فيها مجتمعات ذات ثقافات متشابهة، أو ما أصطلح على تسميته بـ (المنطقة الثقافية ). وقد شبّه / وسلر / المنطقة الثقافية بدائرة، تتركّز معظم العناصر الثقافية في مركزها، وتقلّ هذه العناصر كلّما ابتعدت عن المركز.

المرحلة الثالثة: وتقع ما بين (١٩١٥- ١٩٣٠ م) وتعدّ فترة الازدهار، حيث تميّزت بكثرة الابحوث والمناقشات في القضايا التي تدخل في صلب علم الأنثر بولوجيا الثقافية، ولا سيّما تلك الدراسات

التي تركّزت في أمريكا.

ويرجع ازدهار الأنثربولوجيا في تلك الفترة، إلى نضج هذا العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه. وترافق ذلك بازدهار المدرسة التاريخية في أمريكا، وظهور المدرسة الانتشارية في إنكلترا، ولا سيما بعد الأخذ بمفهوم (المنطقة الثقافية) الذي طرحه / وسلر / كإطار لتحليل المعطيات الثقافية وتفسيرها، والتوصيل إلى العناصر المشتركة بين الثقافات المتشابهة.

المرحلة الرابعة: ومدّتها عشر سنوات فقط، ونقع ما بين (١٩٣٠- ١٩٤٠ م). وعلى الرغم من قصر مدّنها، فقد أطلق عليها الفترة التوسّعية، حيث تميّزت باعتراف الجامعات الأمريكية والأوروبية بالأنثر وبولوجيا الثقافية كعلم خاص في إطار الأنثر وبولوجية العامة، وخصّصت لها فروع ومقرّرات دراسية في أقسام علم الاجتماع في الجامعات.

وظهرت في هذه الفترة النظرية (التكاملية) التي تبنّاها / سابير / عالم الاجتماع الأمريكي، واستطاع من خلالها تحديد مجموعة متناسقة من أنماط السلوك الإنساني، والتي يمكن اعتمادها في دراسة السلوك الفردي، لدى أفراد مجتمع معين، حيث أنّ جوهر الثّقافة هو في حقيقة الأمر، ليس إلا تفاعل الأفراد في المجتمع بعضهم مع بعض، وما ينجم عن هذا التفاعل من علاقات ومشاعر وطرائق حياتية مشتركة

وقد تأثّرت الأنثروبولوجيا في هذه الفترة- إلى حدّ بعيد- بالأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولا سيّما في مفاهيمها ومناهجها، وذلك بفضل الأبحاث التي قام بها كلّ من / مالينوفسكي وبراون / في مجالات الأنثربولوجيا الاجتماعية .

المرحلة الخامسة: وهي الفترة المعاصرة التي بدأت منذ عام ١٩٤٠، وما زالت حتى الوقت الحاضر. وتمتاز هذه المرحلة بتوسّع نطاق الدراسات الأنثروبولوجية، خارج أوروبا وأمريكا، وانتشار الأنثروبولوجيا الثقافية في العديد من جامعات الدول النامية، في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينينية.

وترافق ذلك مع ظهور اتجاهات جديدة في الدراسات الأنثربولوجية، كان الاتجاه القومي في مقدّمة هذه الاتجاهات الحديثة في الأنثروبولوجيا الثقافية، والذي يهدف إلى تحديد الخصائص الرئيسة للثقافة القوميّة. وقد أخذت بهذا الاتجاه الباحثة الأمريكية / روث بيندكيت / التي قامت بدراسة الثقافة اليابانية خلال الحرب العالمية الثانية.

ويسمّى الاتجاه القومي في تقييم الثقافة: " الانطوائية القومية " والتي تعني: أنّ الانسان يفضنّل طريقة قومه في الحياة، على طرائق الأقوام الأخرى جميعها. تلك هي النتيجة المنطقية لعملية التثقيف الأولى، والتي يتفق بها شعور معظم الأفراد نحو ثقافتهم الخاصة، سواء أفصحوا عن هذا الشعور أو لم يفصحوا.

وتتجلى الانطوائية القومية لدى الشعوب البدائية بأحسن أشكالها ، في الأساطير والقصص الشعبية، والأمثلة والعادات اللغوية .. فأسطورة أصل العروق البشرية لدى هنود (الشيروكي) تعطينا مثالاً حيّاً عن الانطوائية القومية. تقول الأسطورة :

" صوّر الخالق الإنسان بأن صنع أو لا فرناً وأوقد النار فيه، ثمّ صنع من عجينة ثلاثة تماثيل على شكل الإنسان، ووضعها في الفرن وانتظر شيها (شواءها). غير أن لهفة الخالق إلى رؤية نتيجة عمله الذي يتوّج تجربته في الخلق، كانت من الشدة بحيث أخرج التمثال الأول مبكراً، فكان ولأسف غير ناضج شاحباً باهت اللون، ومن نسله كان العرق الأبيض. أمّا التمثال الثاني، فكان ناضجاً جيّداً لأنّ مدّته في الشواء كانت مضبوطة وكافية، فأعجبه شكله الأسمر الجميل، وكان هذا سلف الهنود. وانصرف الخالق إلى تأمّل صورته، ناسياً أن يسحب التمثال الثالث من الفرن حتى اشتمّ رائحة الاحتراق. فتح باب الفرن فجأة، فوجد هذا التمثال متفحماً أسود اللون .. فكان ذلك مدعاة للأسف، ولكن لم يعد بالإمكان حيلة، وكان هذا أول رجل أسود ." (هر سكوفيتز، ١٩٧٤، ص ٧٢)

بهذه الصورة تبدو الانطوائية القومية لدى الكثير من الشعوب .. حيث يصر الإنسان / الفرد على التعبير عن صفات قومه الحميدة .. ولهذا يحكم أي إنسان على النظام القيمي/ الاجتماعي لدى أي شعب آخر، من خلال العلاقة التي تربط هذا الشعب بشعبه، وفق درجة الرغبة والقبول في ذلك، والتي قد تصل إلى حدود الرفض المطلق أو القبول المطلق، وفقاً لمعايير عامة .

وكانت من أهم الاتجاهات الحديثة أيضاً في الأنثروبولوجيا الثقافية، تلك الدراسات التي عنيت بالمجتمعات المتمدّنة، وما أطلق عليها " دراسة الحالة ". كدراسة أوضاع قرية أو عدد من القرى المتجاورة، أو في منطقة معيّنة، أو دراسة ثقافة خاصة بمجموعة أو بغئة من البشر. إضافة إلى دراسات أكاديمية تتعلّق بخصائص الأنثروبولوجيا الثقافية ومبادئها، ومناهج البحث فيها وطرائقها وأساليبها .. وغيرها ممّا يسهم في إجراء الدراسات على أسس موضوعية وعلمية تحقّق الأهداف المرجوة منها.

# ثالثاً-أقسام الأنثروبولوجيا الثقافية:

على الرغم من تعدّد العناصر الثقافية، وتداخل مضموناتها وتفاعلها في النسيج العام لبنية المجتمع الإنساني، فقد اتّفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثقافية إلى ثلاثة اقسام أساسيّة، هي : (علم الأثار – علم اللغويات – وعلم الثقافات المقارن) وفيما يلي شرح لكلّ منها :

#### ١-علم اللغويات

هو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات الإنسانية، المنقرضة والحيّة، ولا سيّما المكتوبة منها في السجلاّت التاريخية فحسب، كاللاتينية أو اليونانية القديمة، واللغات الحيّة المستخدمة في الوقت كالعربية والفرنسية والإنكليزية. وبهتمّ دارسو اللغات بالرموز اللغوية المستعملة، إلى جانب العلاقة القائمة بين لغة شعب ما، والجوانب الأخرى من ثقافته، باعتبار اللغة وعاء ناقلاً للثقافة.

ان اللغة من الصفات التي يتميّز بها الكائن الإنساني عن غيره من الكائنات الحيّة الأخرى، فهي طريقة التخاطب والتفاهم بين الأفراد والشعوب، بواسطة رموز صوتية وأشكال كلامية متفق عليها، ويمكن تعلمها .. علاوة على أنّها وسيلة لنقل التراث الثقافي / الحضاري، حيث يمكن استخدام معظم اللغات في كتابة هذا التراث .

يحتلَّ علم اللغة مكاناً ممتازاً في مجمل العلوم الاجتماعية التي ينتمي إليها ؛ فهو ليس علماً اجتماعياً كالعلوم الأخرى، بل العلم الذي قدّم إنجازات عظيمة، وتوصّل إلى صياغة منهج وضعي ومعرفة الوقائع الخاصة. ولذلك، ارتبط علماء النفس والاجتماع والأثنو غرافيا بالحرص على تعلّم الطريق المؤدّية إلى المعرفة الوضعية للوقائع الاجتماعية، من علم اللغة الحديث .

يدرس علماء الأنثروبولوجيا، اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي، في المكان والزمان. ويقوم بعضهم باستنتاجات تتعلق بالمقوّمات العامة للغة وربطها بالتماثلات الموجودة في الدماغ الإنساني. ويقوم أخرون بإعادة بناء اللغات القديمة من خلال مقارنتها بالمتحدّرات عنها في الوقت الحاضر، ويحصلون من ذلك على اكتشافات تاريخية عن اللغة.

وما يزال عدد من علماء الأنثروبولوجيا اللغوية، يدرسون اختلافات اللغة ليكتشفوا الادراكات والنماذج الفكرية المختلفة، في عدد وافر من الحضارات. ويدخل في ذلك، دراسة الاختلافات اللغوية في سياقها الاجتماعي، وهو ما يدعى (علم اللغة الاجتماعي) الذي يدرس الاختلاف الموجود في لغة واحدة، ليظهر كيف يعكس الكلم الفروقات الاجتماعية . ( Kattak,1994, 10 )

إنّ التشابه المنهجي الشديد بين علم الاجتماع والأنثر وبولوجيا من جهة، وعلم اللغة من جهة أخرى، يفترض واجباً خاصاً من التعاون فيما بينها، حيث يستطيع علم اللغة أن يقدّم البراهين المساعدة في دراسة مسائل القرابة، من خلال تقديم أصول الكلمات وما ينتج عنها من علاقات في بعض ألفاظ القرابة التي لم تكن مدركة بصورة مباشرة، من قبل عالم الأنثر بولوجيا أو عالم الاجتماع، وبذلك يلتقي علماء الأنثر وبولوجيا، بهدف مقارنة الفروع التي ينتجها هذان العلمان. ويقترب اللغويون من علماء الأنثر وبولوجيا، آملين في جعل دراساتهم أكثر واقعية، وفي المقابل، يلتمس الأنثر وبولوجيون اللغويين كلما توسموا فيهم القدرة على إخراجهم من الاضطراب الذي ألقتهم فيه على ما يبدو، ألفتهم الزائدة مع الظلمان المادية والتجريبية والتجريبية. (سمستروس، ١٩٧٧، ص ٤٩)

ولذلك، يلاحظ أنّ فرع اللغويات هو حالياً من أكثر فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، استقلالاً وانعزالاً عن الفروع الأخرى بعلاقاتها مع الجوانب الأخرى في عن الفروع الأخرى بعلاقاتها مع الجوانب الأخرى في النشاط الإنساني، وهذا هو الواقع في حالات كثيرة ومما لا شك فيه، أنّ اللغات – بما فيها من تراكيب معقّدة و غريبة، وما تنطوي عليه من تنوّع هائل، ولا سيّما عند الشعوب البدائية، تزوّد الباحث بمادة دراسية غنيّة لا يمكن حصرها (لينتون، ١٩٦٧، ص ٢٠)

ولذلك، يعطي / ليفي ستروس / أهميّة بالغة لِلَغة ويعتبرها أحد الأركان الأساسية في علم الإنسان، ان لم تكن حجر الزاوية في ذلك العلم، وعلى أساس أنّ اللغة هي الخاصية الرئيسة التي تميّز الإنسان عن الكائنات الحيّة الأخرى. ولذلك، يعتبرها الظاهرة الثقافية الأساسية التي يمكن عن طريقها، فهم كلّ صور الحياة الاجتماعية. وهذا ما يؤكّده في كتابه (المناطق المدارية الحزينة) والذي يعرف في العالم العربي باسم (الأفاق الحزينة) وهو نوع من السيرة الذاتية في قالب أنثر وبولوجي، حيث يقول: "حين نقول الإنسان .. فإنّنا نعني اللغة. وحين نقول اللغة ... فإنّنا نقصد المجتمع .."

وهذا ما دفعه ألى استخدام مناهج اللغويات الحديثة وأساليبها، في تحليله للمعلومات الثقافية، وكلّ مادة غير لغوية. كما جعله يعطي الكلمة (الدال) من الأهميّة أكثر ممّا يعطي للمعنى (المدلول)، ولا سيّما أنّ الدال الواحد (الكلمة الواحدة) قد يكون له مدلولان مختلفان بالنسبة لشخصين مختلفين، وذلك تبعاً لاختلاف تجاربهما. بل أنّ الدال الواحد، قد تكون له مدلولات مختلفة بالنسبة للشخص نفسه، وفي أوقات أو ظروف مختلفة. (أبو زيد، ٢٠٠١، ص ٨٦)

و على الرغم من أنّ علماء اللغة لم يتمكّنوا من تحديد أسبقية لغة على أخرى، فقد توصّلوا من خلال در اساتهم إلى تصنيف اللغات المختلفة بحسب طبيعتها واستخدامها، في تلاثة أقسام هي:

-اللغات المنعزلة: وهي اللغات التي تتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى، ولا تفهمها إلا تلك المنات المتحدثة بها. وهي لغة لا تكتب وليس لها تاريخ.

-اللغات الملتصقة: وهي اللغات التي تتخاطب بها شعوب كبيرة، ولكنّها ملتصقة بهم وبتراثهم. وهي لغات معروفة، ولكن ليس لها قواعد، وإنّما تعتمد على المقاطع والكلمات، مثل: اللغة الصينيّة.

اللغات ذات القواعد (النحو والصرف): وهي اللغات الحديثة التي تستخدمها الأمم المتحضرة، لها

قواعد نحوية وصرفية، تضبط جملها وقوالبها اللغوية، مثل: اللغة العربية، واللغات الأوربية ، (زرقانة، ١٩٥٨، ص ١٤٨)

ومهما يكن هذا التقسيم، فإنّ اللغات المستعملة في العالم، جميعها، شُكّلت من أصوات متناسقة تدلّ على هذه اللغة أو تلك، وفق أصول وقواعد خاصة بها. ولهذا يقسم علم اللغويات إلى أقسام فرعيّة، من أهمّها : علم اللغات الوصفي، وعلم أصول اللغات .

1/1- علم اللغات الوصفي: يهتم بتحليل اللغات في زمن محدّد، ويدرس النظم الصوتية، وقواعد اللغة والمفردات. ويعتمد عالم اللغات في دراساته هنا على اللغة الكلامية، ولذلك يستمع إلى الأفراد، ولا سيّما إذا كانت الدراسة متعلّقة بلغات لم تكتب. فيقوم عالم اللغة بكتابة تلك اللغات عن طريق استخدام الرموز المتعارف عليها.

ومهما يكن الأمر، فإنّ عملية تحليل اللغات وتصنيفها، كعملية تحليل الأجناس البشرية وتصنيفها، لا تشكّل الأمر، فإنّ عملية تحليل اللغات، على اختلاف أنواعها، وتصنيفها، لا تشكّل الخطوة الأولى لغيرها من الدراسات المهمّة فاللغات، على التوصّل إلى فهم أعمق تمثّل أداة قيّمة في يد العالم .. ولا شكّ في أنّها ستساعده في النهاية، على التوصّل إلى فهم أعمق لسيكولوجية الأفراد والمجتمعات (لينتون، ١٩٦٧، ص ٢٠)

وتتركّز معظم تلك الدراسات في المجتمعات البدائية التي تستخدم اللغة الكلامية، ولم تعرف القراءة والكتابة. فلا يوجد مجتمع إنساني – مهما تخلّفت ثقافته – من دون لغة كلامية يتفاهم بها أبناؤه

### ٢/١-علم أصول اللغات:

يهدف إلى تحديد أصول اللغات الإنسانية. ولذلك، يختص بالجانب التاريخي والمقارن، حيث يدرس العلاقات التاريخية بين اللغات التي يمكن متابعة تاريخها، عن طريق وثائق مكتوبة. وتكون المشكلة أكثر تعقيداً بالنسبة للغات القديمة التي لم تترك أية وثائق مكتوبة تدل عليها. ولكن ثمّة وسائل خاصة يمكن للباحث أن يستخدمها في دراسة تاريخ تلك اللغات.

وهناك علاقات تعاونية بين عالم اللغة، والأنثروبولوجي الثقافي، وذلك لأنة على كلّ من الأثنولوجي والأنثروبولوجي الاجتماعي، أن يدرس لغة المجتمع الذي يجري بحثه عليه.

وبناء على ذلك، تقدَّم علم اللغويات – في العصر الحاضر – وأصبح يُستخدم مناهج علمية وآليات دقيقة، في در اسة لغات العالم .. واستطاع من خلال ذلك أن يتوصّل إلى قوانين أساسية وعامة، لا تقلُ أهميّة في دقتها عنٍ قوانين العلوم الطبيعية . (وصفي، ١٩٧١، ص ٣١-٣٢)

ومن المحتم أن تثير (مورفولوجية) أية لغة، أسئلة بعيدة المدى تتصل بميداني: الفيزياء والقيم .. فاللغة ليست مجرد أداة للاتصال أو لاستثارة الانفعالات فحسب، وإنّما هي أيضاً وسيلة لتصنيف الخبرات. والخبرة هي أشبه ما تكون بخط متصل الأجزاء، يمكن تقسيمه بطرق مختلفة . (لينتون، ١٩٦٧)

ولذلك، فإن الدراسات اللغوية المقارنة، توضح أنّ الكائن البشري على الرغم من استخدامه لغة واحدة، فهو يقوم بعملية انتقائية غير واعية للمعاني التي يستخدمها. وذلك لأنّه لا يستطيع الاستجابة الدقيقة للمنبّهات المتنوّعة في محيطه الخارجي .

### ٢- علم الآثار القديمة (الحفريات Archeology):

يعنى بشكل خاص بجمع الأثار والمخلّفات البّشرية وتحليلها، بحيث يستدلّ منها على التسلسل التاريخي للأجناس البشرية، في تلك الفترة التي لم تكن فيها كتابة، وليس ثمّة وثائق مدوّنة (مكتوبة) عنها.

ويبحث هذا الفرع من علم الأنثروبولوجيا الثقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية، ولا سيّما الثقافات المنقرضة. ولعل علم الأثار القديمة أكثر شيوعاً بين فروع الأنثروبولوجيا، وربّما كانت مكتشفاته مألوفة لدى الشخص العادي أكثر من مكتشفات الفروع الأخرى. ومثال ذلك، أن اسم (توت عنخ آمون) أحد ملوك قدماء المصريين، يكاد يكون معروفاً لدى الأوساط الشعبية العامة. (لينتون، 197۷، ص ٢٢)

وعلى الرغم من أنّ الهدف الأوّل من هذه الأبحاث، هو الحصول على معلومات عن الشعوب القديمة، إلا أنّ الهدف النهائي يتمثّل في مساعدة القرّاء والدارسين، في تفهّم العمليات المتّصلة بنمو الثقافات أو (الحضارات) وازدهارها أو انهيارها، وبالتالي إدراك العوامل المسؤولة عن تلك التغيّرات.

ومن المعروف لدى علماء الأنثروبولوجيا، أنَّ الكتابة ظهرت منذ حوالي أربعة ألاف سنة قبل الميلاد، وما كتب من ذلك التاريخ معروف لدى الدارسين والباحثين، ويمكن بواسطة هذه الأثار المكتوبة معرفة الكثير عن الإنسان. (ناصر، ١٩٨٥، ص ٦٢)

فُعالم الأَثار يعتمد في دراسته، على البقايا التي خلفها الإنسان القديم، والتي تمثّل طبيعة ثقافاته وعناصرها. وقد توصّل علماء الأثار إلى أساليب دقيقة لحفر طبقات الأرض التي يتوقّع وجود بقايا حضارية فيها. كما توصّلوا إلى مناهج دقيقة لفحص تلك البقايا وتحديد مواقعها، وتصنيفها من أجل

التعرّف إليها، ومن ثمّ مقارنتها بعضها مع بعض. ويستطيع علماء الأثار باستخدام تلك المناهج، استخلاص الكثير من المعلومات عن الثقافات القديمة، وتغيّر اتها، وعلاقة كلّ منها بغير ها.

ويستخدم علماء الأنثروبولوجيا بقايا المواد كمعطيات رئيسة لاستخدام المعرفة العلمية والنظرية، حيث يقوم علماء الآثار بتحليل النماذج الحضارية والتطوّرات التي طرأت عليها، فتكشف النفايات عن الأوضاع الخاصة بالاستهلاك والنشاطات.

فالحبوب البرية والحبوب المنزلية / مثلاً: تمتلك خصائص مختلفة تسمح لعلماء الأثار أن يميّزوا بين النبات الذي تمّ جلبه، وذلك الذي تمّت العناية به محلياً. كما يكشف فحص عظام الحيوانات، عن أعمار هذه الحيوانات التي تمّ ذبحها، ويزوّد بمعلومات أخرى مفيدة، تحدّد فيما إذا كانت هذه الأنواع بريّة أو مدجّنة. ويقوم علماء الأثار من خلال بحثهم في هذه المعلومات، بإعادة بناء نماذج الإنتاج والتجارة والاستهلاك. (Kattak, 1994,8)

ومع أنّ الهدف القريب الواضح للأبحاث (الأرخلوجية)، هو استكمال معارفنا ومعلوماتنا عن ماضي الإنسان، فإنّ الهدف النهائي هو مساعدتنا في تفهّم العمليات المتصلة، بنمو الحضارات وازدهارها وانهيارها، وإدراك العوامل المسؤولة عن هذه الظاهرات التاريخية. وقد أصبحت نتائج الدراسات (الأرخلوجية) المتصلة بعمليات التطوّر، مألوفة لدى العلماء الأنثر وبولوجيين جميعهم، والذين يعنصون بدراسة طسسة طسساهرات التغيير الثقافي. (لينتصون، ١٩٦٧، صن ٢٤)

ولذلك، يلجأ علماء الآثار – الأنثربولوجيون – إلى الاستفادة من أبحاث علماء الجيولوجيا والمناخ، للتحقّق من (هوية) البقايا التي يكتشفونها، وتاريخ وجودها كما يتعاون علماء الآثار أيضاً، مع المتخصّصين في الأنثروبولوجيا الطبيعية، وذلك لكثرة وجود( اللقي) الإنسانية في الحفريات، مع البقايا الثقافية. وقد نجح علماء الآثار المحدثون، في استخدام (الكربون المشعّ) كوسيلة لتحديد عمر "البقايا" بدقة. (وصفي، ١٩٧١، ص ٣١)

ويمكن القول – بوجه عام - إنَّ علماء الأثار القديمة، يحاولون اكتشاف ذلك الجزء من التاريخ الماضي الذي لا تتعرّض له السجلات المكتوبة. ويقبل عالم الأثار القديمة على ميدان اختصاصه بحماسة، لأنَّ عمله يقترن بمجموعة من الدوافع والمثيرات المغرية، كالرغبة في إجراء أبحاث علمية شائقة، واحتمال العثور على كنوز ثمينة ... (لينتون، ١٩٦٧، ص ٢٣)

فعلم الآثار إذاً، يدرس تاريخ الإنسان وما رافقه من تغيّرات ثقافية، في محاولة لبناء تصوّر كامل عن الحياة الاجتماعية التي عاشتها المجتمعات القديمة، مجتمعات ما قبل التاريخ. وإذا كان علم الآثار يعتمد – إلى حدّ ما على التاريخ – فإنّه يختلف عن علم التاريخ في أنّه لا يدرس المراحل الحضارية المؤرّخة، وإنّما يدرس تلك الفترات التي عاشها المجتمع الإنساني قبل اختراع الكتابة وتدوين التاريخ.

# "-علم الثقافات المقارن (الأثنولوجيا (Ethnology):

تعتبر الأثنولوجيا من أقرب العلوم إلى طبيعة الأنثروبولوجيا، بالنظر إلى التداخل الكبير فيما بينهما من حيث دراسة الشعوب وتصنيفها على أساس خصائصها، وميزاتها السلالية والثقافية والاقتصادية، بما في ذلك من عادات ومعتقدات، وأنواع المساكن والملابس، والمثل السائدة لدى هذه الشعوب.

ولذلك، تعد الأثنولوجيا فرعاً من الأنثروبولوجيا، يختص بالبحث والدراسة عن نشأة السلالات البشرية، والأصول الأولى للإنسان. وترجع لفظة (أثنولوجيا) إلى الأصل اليوناني (أثنوس Ethnos) وتعني دراسة الشعوب. ولذلك تدرس الأثنولوجيا، خصائص السعوب اللغوية و الثقافية والسلالية. (اسماعيل، ١٩٧٣، ص ٤٦٠)

وتعتمد الأثنولوجيا في تفسير توزيع الشعوب – في الماضي والحاضر – على أنّه نتيجة لتحرّك هذه الشعوب واختلاطها، وانتشار الثقافات التي ترجع إلى كثرة الحوادث المعقّدة، التي بدأت مع ظهور الإنسان منذ مليون (ملايين) من السنين. فهي تبحث، مسألة المصادر التاريخية للشعوب، من أين أتت قبائل الهنود الحمر؟مثلاً، وأي طريق سلكت؟ ومتي احتلّت هذه الشعوب المناطق الموجودة فيها الآن، وكيف؟ ومن أية جهة تسلّلت إلى أمريكا؟ وكيف انتشرت فيها؟ ومتى ظهرت أجناس الهنود الحمر؟ وما هي الميزات اللغوية والملامح الثقافية التي نشرتها ثقافة الهنود الحمر، قبل احتكاكها بالثقافة الأوروبية؟ وغير ذلك ممّا يفيد في الدراسات الوصفية المقارنة للمجتمعات الإنسانية وثقافاتها. (رشوان، ١٩٨٨،

وتدخل في ذلك در اسة أصول الثقافات والمناطق الثقافية، و هجرة الثقافات وانتشار ها والخصائص النوعية لكل منها، در اسة حياة المجتمعات في صور ها المختلفة. أي أنه العلم الذي يبحث في السلالات القديمة وأصولها وأنماط حياتها، كما يبحث في الحياة الحديثة في المجتمعات الحاضرة، وتأثّر ها بتلك الأصول القديمة.

ولذلك، تعرّف الأثنولوجيا بأنّها: دراسة الثقافة على أسس مقارنة وفي ضوء نظريات وقواعد ثابتة، بقصد استنباط تعميمات عن أصول الثقافات وتطوّر ها، وأوجه الاختلاف فيما بينها، وتحليل انتشار ها تحليلًا تاريخياً ، (كلوكهون، ١٩٦٤، ص ٣١)

وتهتم النظرية الأثنولوجية بدراسة الثقافة، عن طريق القوانين المقارنة، ولا سيّما مقارنة قوانين

الشعوب البدائية، حيث يهتم علماء القانون المقارن بدر اسة بعض العادات والنظم والقيم والتقاليد، مثل: النسب الأبوي أو الأمومي، سلطة الأب، الحياة الإباحية، الاختلاط الجنسي، وطرائق الزواج المختلفة. (حمدان، ١٩٨٩، ص ١٠٣)

ويبحث علم الأثنولوجياً في طرائق حياة المجتمعات التي لا تزال موجودة في عصرنا الحاضر، أو المجتمعات التي يعود تاريخ انقراضها إلى عهد قريب، وتتوافر لدينا عنه سجلات تكاد تكون كاملة. فلكل مجتمع طريقته الخاصة في الحياة، وهي التي يطلق عليها العلماء الأنثروبولوجيون مصطلح " الثقافة ". ويعدّ مفهوم الثقافة من أهم الأدوات التي يتعامل معها الباحث الأثنولوجي. (لينتون، ١٩٦٧، ص ٢٥)

ومن ميزات الأثنولوجيا، أنها تعتمد عمليتي التحليل والمقارنة، فتكون عملية التحليل في دراسة ثقافة واحدة، بينما تكون عملية المقارنة في دراسة ثقافة واحدة، بينما تكون عملية المقارنة في دراسة ثقافتين أو أكثر. وتدرس الأثنولوجيا الثقافات الحيّة (المعاصرة) والتي يمكن التعرّف إليها بالعيش بين أهلها، كما تدرس الثقافات المنقرضة (البائدة) بواسطة مخلّفاتها الأثرية المكتوبة والوثائق المدوّنة. وتهتمّ إلى جانب ذلك، بدراسة ظاهرة التغيير الثقافي من خلال البحث في تاريخ الثقافات وتطوّرها .( وصفي، ١٩٧٧، ص ٣٠)

وقد كان هذا الفرع من الأنثروبولوجيا الثقافية، يلقى اهتماما قليلاً قياساً للفروع الأنثروبولوجية الأخرى، حيث قام بعض علماء الأنثروبولوجيا في القرن العشرين، بدراسة الطرائق التي تؤثر من خلالها المفاهيم الاجتماعية المحدودة في سلوك الأشخاص وأمزجتهم، ومعرفة الحياة الإنسانية للشعوب التي ما زالت تحيا حياة بسيطة، ولا سيّما تلك الشعوب التي تعيش في: أستراليا وأمريكا الجنوبية وأفريقيا، وفي بعض المناطق في آسيا.

وكان علماء الأثنولوجيا، وإلى عهد قريب جدّاً، يقصرون أبحاثهم في الظواهر الاجتماعية والإنسانية للمجتمعات الثقافية. وكانوا يعتبرون الفرد كما لو أنّه مجرّد ناقل للثقافية، أو حلقة من سلسلة من الوحدات المتماثلة التي يمكن أن تستبدل الواحدة منها بأخرى. ولكن، وبعد دراسات عديدة، تبيّن لهؤ لاء العلماء أن المعايير الشخصية، تختلف باختلاف الأفراد والمجتمعات والثقافات. (ناصر، ١٩٨٥، ص ٢٦)

فمنذ البدايات الأولى لتطوّر الأبحاث الأتنولوجية، والعلماء يحاولون اكتشاف الأسباب التي تجعل مجتمعات معيّنة، تطوّر محاور اهتمام خاصة بها، وتتقبّل أو تنبذ تجديدات مختلفة من النوع الذي يبدو أنه لا ينطوي على أية عوامل نفعية، وكذلك الأسباب التي تجعل الثقافات المتنوّعة تعكس – بصورة منتظمة – اتجاهات مختلفة في تطوّرها. وساد الاعتقاد حيناً من الزمن أنّ هذه الظاهرات يمكن عزوها الى وقائع تاريخيّة عارضة، غير أن هذه النظرية هي ضرب من الاقتراض الجدلي الذي لا يستند إلى أي برهان أو دليل. (لينتون، ١٩٦٧، ص ٣٢)

ويتّفق معظم العلماء على أنّ مصطلح (أثنوجرافيا) يطلق على الدراسة التي تعمد إلى وصف ثقافة ما في مجتمع معين، بينما يطلق مصطلح (أثنوجرافيا) على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة. فالأثنولوجي يهدف من تلك المقارنات الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية، ولظاهرة التغيير الثقافي وآثار الاتصال بين الثقافات المختلفة، كما يهدف الأثنولوجي أيضاً إلى تصنيف الثقافات ضمن مجموعات أو أشكال، على أساس مقاييس (معايير) معيّنة. (وصفي، ١٩٧١، ص ٢٥)

وهذا يعني أنّ الأهداف النهائية للعالِم الأثنولوجي، هي في الأساس، مماثلة لأهداف عالِم الاجتماع وعالِم الاقتصاد .. فكلّ عالم من هؤلاء، يحاول أن يفهم كيف تعمل المجتمعات والثقافات؟ وكيف ولماذا تتغيّر الثقافات؟ كما يحاول أن يتوصّل إلى تعميمات معيّنة، أو " قوانين " بحسب المصطلح الدارج للمفهوم، لتساعده في التنبّؤ باتّجاه سير الأحداث، بقصد التحكم به في النهاية. (لينتون، ١٩٦٧، ص ٢٧)

فإذا كان القول بأن الأتنولوجيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة رأسية، أي دراسة مقارنة زمانية تاريخية لثقافات الماضي، مع متابعة دراسة تلك الثقافات وتطوّرها ومقارنتها عبر التاريخ، فأنّ الأتنوجرافيا تدرس الظواهر الثقافية دراسة أفقية محدّدة المكان، وهكذا تكون الأتنولوجيا دراسة مقارنة في الزمان، بينما تكون الأثنوجرافيا دراسة مقارنة في المكان. (اسماعيل، ١٩٧٣، ص ٢٦)

وكان من نتائج الاحتكاك بين علم الاجتماع وعلم الأثنولوجيا، أن تزوّد علم الاجتماع بأساليب جديدة ثبت أنها ذات قيمة خاصة للباحث الاجتماعي، الذي يعنى بدر اسة المجتمعات الحديثة الصغيرة. أضف الى ذلك، أنّ الاحتكاك بين العلمين وسّع مجال علم الاجتماع، وأدّى بالتالي إلى تغيّر بعض صيغه النظرية. (لينتون، ١٩٦٧، ص ٣٢)

لقد تبلورت الأثنولوجيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وشكّلت ما يمكن الاشارة اليه بالأنثر وبولوجيا المعاصرة. وساعد على هذا الاتجاه ودعمه، از دياد عدد الأنثوبولوجيين في البلدان النامية، بعد إن كانت هذه المهنة وقفاً على الباحثين الغربيين. ولم تعد الأثنولوجيا تقصر مجال دراستها على المجتمعات الصغيرة الحجم، أو المحلية ذات الثقافات غير الغربية، وإنّما اتجهت لتوسيع مجالها بحيث تشمل الثقافات والمجتمعات كلّها، وعلى اختلاف حجمها وموقعها. (فهيم، ١٩٨٦، ص ٣٦)

غير أن هذا التنوع الذي اتصفت به الأثنولوجيا في القرن العشرين، أدّى إلى حدوث بعض التضارب في الدراسات، وهذا ما أفقدها الكثير من الاستقرار الأكاديمي، علاوة على تمسّكها بالنواحي المنهجيّة أكثر من توصّلها إلى نظريات علمية، الأمر الذي أثار العديد من التساؤلات حول كيفيّة دراسة الثقافات الإنسانية وعلميّتها، وصلتها بقضايا الإنسان المعاصر

#### مصادر القصل ومراجعه

- أبو زيد، حامد (٢٠٠١) الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي ٢١، مجلّة العربي، الكويت.
  - اسماعيل، قباري محد (١٩٧٣) الأنثروبولوجيا العامة، منشَّأة المعارف بالاسكنَّدرية.
- بيلز، رالف؛ هويجرًا، هاري (١٩٧٧) مقدّمة في الأنثروبولوجيا العامة، ترجمة: مجد الجوهري وآخرون، دار النهضة المصرية، القاهرة.
  - حمدان، محمد زياد (٩ ٨٩) الثقافات الاجتماعية المعاصرة، دار التربية الحديثة، عمان.
  - رشوان، حسين عبد الحميد (١٩٨٨) الأنثروبولوجيا في المجال النظري، الاسكندرية.
    - زرقانة، ابراهيم (١٩٥٨) الأنثروبولوجيا، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .
- ستروس، كلود ليفي (١٩٧٧) الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة : مصطفى صالح، وزارة الثقافة، دمشق
- فهيم، حسين (١٩٨٦) قصة الأنثروبولوجيا فصول في تاريخ الإنسان، عالم المعرفة (١٩٨)، الكويت
  - كلوكهون، كلايد (٤ ٢٩٦) الإنسان في المرآة، ترجمة: شاكر سليم، بغداد.
    - لبيب، الطاهر (١٩٨٧) سُوسيولوجية الثقافة، دار الحوار، اللاذقية.
- لينتون، رالف (١٩٦٧) الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.
  - ناصر، ابراهيم (١٩٨٥) الأنثروبولوجيا الثقافية \_ علم الإنسان الثقافي \_، عمّان.
- هرسكوفيتز، ميلفيل. ج (١٩٧٤) أسس الأنثروبولوجيا الثقافية، ترجمة: رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق.
  - وصفى، عاطف (١٩٧١) الأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.
    - وصفى، عاطف (١٩٧٧) الثقافة والشخصيّة، دار المعارف بمصر.
- Barnouw, V. (1972) Cultural Anthropology, Home wood Illinois, Irwen Inc.